مجلة كلية الآداب

مجلة دورية علمية محكمة

نصف ســنوية

العدد الواحد والخمسون
ابريل 2019

مجلة كلية الآداب.. مج ١، ع ١ (أكتوبر ١٩٩١م) .
بنها : كلية الآداب . جامعة بنها، ١٩٩١م
مج؛ ٢٤ سم.
مرتان سنويا (١٩٩١) وأربعة مرات سنويا (أكتوبر ٢٠١١) ومرتان سنويا (٢٠١٧)

١ . العلوم الاجتماعية . دوريات . ٢. العلوم الإنسانية . دوريات.

مجلة كلية الآداب جامعة بنها

مجلة دورية محكمة

العدد الواحد والخمسون

الشهر : أبريل 2019

عميد الكلية ورئيس التحرير : أ.د/ عبير فتح الله الرباط

نائب رئيس التحرير : أ.د/ عربى عبدالعزيز الطوخى

الإشراف العام : أ.د/ عبدالقادر البحراوى

المدير التنفيذى : د/ أيمن القرنفيلى

مديرا التحرير : د/ عادل نبيل الشحات

: د/ محسن عابد محمد السعدنى

سكرتير التحرير : أ/ إسماعيل عبد اللاه

رقم الإيداع ٦٣٦١ : ٦٣٦٣ لسنة ١٩٩١

ISSN: 1687-2525

المجلة مكشفة من خلال اتحاد المكتبات الجامعية المصرية

ومكشفة ومتاحة على قواعد بيانات دار المنظومة على الرابط:

http://www.mandumah.com

ومكشفة ومتاحة على بنك المعرفة على الرابط:

http://jfab.journals.ekb.eg

هيئة تحرير المجلة

أ.د/عبير فتح الله الرباط	عميد الكلية ورئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير
أ.د/عربى عبدالعزيز الطوخى	نائب رئيس التحرير
أ.د/عبدالقادر البحراوى	الإشراف العام
د/أيمن القرنفيلى	المدير التنفيذى
د/عادل نبيل	مدير تحرير المجلة
د/محسن عابد السعدنى	مدير تحرير المجلة
أ/إسماعيل عبد اللاه	سكرتير التحرير

مدينة دمشق في القرنين السابع والثامن للميلاد

في ضوء حولية الراهب البيزنطي ثيوفانيس

"دراسة تحليلية"

د/هانئ عبد الهادي البشير

أستاذ تاريخ العصور الوسطى

كلية الآداب ـ جامعة الإمام عبد الرحمن بن فيصل

ولد ثيوفانيس Theophanes فى مدينة القسطنطينية في عام 760م ، وتوفى فى ساموتراقيا Samothrace فى الثانى عشر من مارس عام 817م . ونظرا لأنه كان ابن القائد العام (ستراتيجوس Strategos) لجزر بحر إيجة ، عمل موظفا برتبة Strator بالقصر الإمبراطوري فى عهد الإمبراطور ليو الرابع Leo IV الخزرى(780.775م) ، ثم تزوج بعد ذلك من ميجالو Megalo ،ابنة أحد البطارقة وأحد أصدقاء الإمبراطور . لكن بعد فترة قصيرة من هذا الزواج ، وتحديدا فى عام 781.780م ، آثر هو وزوجته حياة الرهبنة على ما عداها . وأنشأ ديرا على الشاطئ الشرقى لبحر البروبونتس Propontes (بحر مرمرة) ، وكان مؤيدا لعبادة الأيقونات ومعارضا للأباطرة اللأيقونيين . وكان ثيوفانيس شديد الكراهية للإمبراطور المعاصر له ـ نقفور الأول Nicephore I (811.802م) ـ لجشعه في فرض الضرائب دون أن يستثنى منها الكنائس أو الأديرة ([1]) .

[1] - Theophanes, The Chronicle of Theophanes Confessor, Byzantine and Near Eastern History A284-813, trans with Introduction and Commentary by Mango,C and Scott,R ,With the assistance of Greatrex.G, Oxford, 1997,pp.XLIV-XLVII; The Oxford Dictionary of Byzantium ,Vol.3, ed by Kazhdan. A,and Others , 3(New York-Oxford,1991),p.2063.
انظر أيضا : هانئ البشير : بيزنطة وبلغاريا ، 681-1018م (القاهرة ، 2001م) ص 2 حاشية رقم 1.

كتب ثيوفانيس حولية شهيرة بعنوان الـ "Χρονογραφια" التاريخ الزمنى " ، انتهى من كتابتها قبل وفاته بنحو ثلاث سنوات ، وأرخ فيها للفترة بين عامي 813.284م واتبع فيها النظام الحولي ؛ فكان يذكر فى بداية تأريخه لكل سنة ترتيب هذه السنة منذ بداية خلق العالم ، وما يعادلها من السنوات الميلادية ، كما يوضح أيضا ترتيب سنوات حكم الإمبراطور البيزنطى ومن عاصره أحيانا من ملوك الفرس والخلفاء المسلمين ، وكذلك البطاركة الشرقيين الأربعة (القسطنطينية ، بيت المقدس ، الإسكندرية ، إنطاكية) ([2]) .

وترجع أهمية حولية التاريخ الزمنى ، إلى الاهتمام الذى أولته للتاريخ البيزنطي بصفة عامة ، وتاريخ الشرق الأدنى الإسلامي إبان القرنين السابع والثامن للميلاد بصفة خاصة، بل وتعتبر هي وكتاب "Ιστορια συντομοσ "(التاريخ المختصر) ، الذى كتبه البطريرك نقفور ، المصدرين الرئيسين لتاريخ هذين القرنين . وتتضح مكانة هذه الحولية من كم الدراسات التى حظيت بها هى وكاتبها ، حيث ذكر المؤرخان كورونا Corona وموارفيسك Moravcisk ما يقرب من مائة دراسة علمية عن

[2] Conrad . L, " Theophanes and the Arabic Historical tradition: some indications of - Intercultural transmission", B .F, Vol . 15 (Amsterdam, I990)p.3.
انظر أيضا : ليلى عبد الجواد إسماعيل : الدولة البيزنطية في عصر الإمبراطور هرقل وعلاقاتها بالمسلمين ، (القاهرة ، 1985م) ، ص 13؛ هانئ البشير : بلغاريا ، ص 2.

ثيوفانيس وحوليته ، ومنذ ذلك الوقت لم يتوان الاهتمام بهذه الحولية ([3]) . فقد قام هارى تورتلدوف Turtuldove ,H بترجمة النصف الأخير منها بداية من أحداث عام 602م ، كما قام المؤرخان الانجليزيان سيريل مانجو Cyril Mango و روجر سكوت Scott , R ، بترجمتها كاملة إلى اللغة الإنجليزية والتعليق عليها وتصدير تلك الترجمة بدراسة علمية مستفيضة عن الحولية وكاتبها .

أما بالنسبة لمدينة دمشق ([4]) ، فقد وردت باقتضاب في حولية التاريخ الزمنى ، ولم يتعد الأمر ذكرها في بعض الأحيان ، والإشارة فقط إلى ما جرى بها من أحداث في بعض الأحيان الأخرى ، وكان هدف ثيوفانيس هو توضيح جانب من العلاقات السياسية بين البيزنطيين والمسلمين ، بغية تمجيد بيزنطة . وتلك سمة لا ينفرد بها ثيوفانيس وحده ، وإنما اتسم بها أيضا غيره من المؤرخين البيزنطيين ، الذين انصب

[3] - Conrad,Theophanes,pp.1,3.

[4] - أطلق الآراميون على دمشق اسم " دراميسيق" وتعنى الدار المسقية ... ثم قام اليونانيون والرومان بعد ذلك بتحريف الاسم إلى Damascus " داماسكوس" وما تزال تحمل نفس الاسم فى اللغة الإنجليزية ، وهى Damas بالفرنسية ، أما لدى العرب فقد بقى اسمها دمشق . وأصبحت دمشق تابعة للحكم الرومانى بداية من عام 64ق.م . وعرفت دمشق أبان الحكم الرومانى والبيزنطى نشاطا تجاريا واسعا مستفيدة من كونها محطة رئيسية على طريق القوافل ، ومن اتساع الإمبراطورية ، انظر :

Encyclopédie de L'Islam,Étable avec le concours des principaux Orientalistes Par B.Lewis,Ch.Pellat et J.Schacht T.II,(Paris,1965),p.286.

انظر أيضا : جيرار ديجورج : دمشق من عصور ما قبل التاريخ إلى الدولة المملوكية ، ترجمة محمد رفعت عواد ، مراجعة وتقديم : محمود ماهر طه (المجلس الأعلى للثقافة ـ القاهرة ، 2005م)، ص 7- 8.

ورد اسم دمشق فى العديد من الأحاديث النبوية الشريفة ، منها عن أبى هريرة عن الرسول صلى الله عليه وسلم " لا تزال عصابة من أمتى يقاتلون على أبواب دمشق وما حولها وعلى أبواب بيت المقدس وما حولها لا يضرهم خذلان من= =خذلهم ظاهرين على الحق إلى أن تقوم الساعة " ، انظر : ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق ، محب الدين أبى سعيد عمر بن غرامة العمرى ، الجزء الأول ، (بيروت ، 1995م)،ص 257.

جل اهتمامهم على ما كان يجرى من أحداث داخل أسوار مدينة القسطنطينية بالدرجة الأولى ، وما عدا ذلك من أحداث كان لا يعنيهم إلا إذا كان سيرفع من قدر بيزنطة وأهلها؛ مثل نصر تحقق ، فيمجدون الإمبراطورية فى شخص إمبراطورها ، أو نجاح بعض البعثات التبشيرية فى نشر النصرانية ، أو غير ذلك مما يظهر عظمة البيزنطيين فى العصور الوسطى .

على أى حال ، أصبحت دمشق تابعة للحكم الروماني بداية من عام 64ق.م ، إلى أن قسمت الإمبراطورية الرومانية الكبرى فى عام 395م إلى قسمين : شرقي وغربى ، وصارت دمشق بموجب ذلك ضمن الشق الشرقي ، الذى عرف باسم الدولة البيزنطية ، وكانت دمشق آنذاك مركزا عسكريا مهما يصعب التخلى عنه ([5]).

وردت دمشق فى حولية التاريخ الزمنى للمرة الأولى عند ذكرها لأحداث عام 613/612م ، حيث ذكر ثيوفانيس : " فى خلال ذلك العام قام الفرس بالاستيلاء على دمشق وأخذ العديد من الأسرى " ([6]) .

[5] - Encyclopédie de L'Islam, p.287.
انظر أيضا : سعيد عاشور : تاريخ أوربا فى العصور الوسطى ، الجزء الأول (بيروت ، د ـ ت) ، ص 28؛ السيد الباز العرينى : الدولة البيزنطية ، (القاهرة ، 1960م)، ص 38؛ البستانى : كتاب دائرة المعارف ، ج 8 ، (بيروت ، د ـ ت) ص 18؛ جيرار ديجورج : دمشق ، ص 8 .

[6] - Theophanes, The Chronicle,p.430.

ويرجع نجاح الفرس في الاستيلاء على دمشق وبقية بلاد الشام ، إلى سوء الأوضاع الداخلية هناك ممثلة في تمرد اليهود ونزاعهم مع المسيحيين ، والنزاع بين الأحزاب السياسية ، فضلا عن الحالة الدينية التي كانت عليها بلاد الشام ؛ فقد كانت غالبية سكان سوريا على المذهب المونوفيزيتى ، ولم يدينوا بمذهب الحكومة المركزية ، أى المذهب الأرثوذكسى الرسمي ، ولهذا كثيرا ما تعرضوا لضغط الحكومة البيزنطية واضطهادها . ولذلك كان من الطبيعى أن يفضل المونوفيزيتيون الخضوع للفرس وأن يكونوا سعداء لخضوع الدولة البيزنطية وهزيمتها ([7]) . لكن هذه الأسباب لم يتطرق إليها ثيوفانيس ؛ لأن ذكرها سيقلل من مكانة بيزنطة وهيبتها وتلك حيدة افتقر إليها ثيوفانيس. أيضا لم يذكر اسم القائد الفارسى الذى استولى على دمشق ، وهو القائد شهرباراز Sharbaraz ([8]) . لكنه تحدث عن رد فعل البيزنطيين ، ممثلا فى سفارة أرسلها الإمبراطور هرقل إلى كسرى فارس يحثه على وقف سفك الدماء ويطلب منه تحديد الإتاوة التى يريدها ، غير أن كسرى لم يستقبل سفراء هرقل وإنما طردهم من بلاده ، حيث كان يطمع فى الاستيلاء على الإمبراطورية الرومانية كلها

[7] - ليلى عبد الجواد : هرقل ، ص 212.

[8] - Sébeôs , Histoire d' Heraclius , traduite de l'Armenien et annotée par Frédéric Marcler (Paris, 1904),p.68.

انظر أيضا : ميخائيل السريانى : تاريخ مار ميخايل السريانى الكبير ، عربه عن السريانية ، مار غريغريوس صليبا شمعون ، أعده وقدم له : مار غريغوريوس يوحنا إبراهيم ، الجزء الأول ،(دمشق ، 1996م) ، ص 292.

([9]) . وهكذا ظلت دمشق وبلاد الشام فى قبضة الفرس حتى عام 628م حينما استعادها الإمبراطور هرقل بموجب السلام الذى عقده معهم فى تلك السنة ، إثر الانتصارات العظيمة التى حققها عليهم ([10]) .

لكن ما كاد هرقل يحرز هذه الانتصارات على الفرس ، حتى وجد نفسه أمام أعداء آخرين لم يكونوا فى الحسبان ، وهم المسلمون ؛ إذ كان آخر شيء يتوقعه البيزنطيون ، أن تخرج من شبه الجزيرة العربية قوة تحاربهم وتنافسهم سيادتهم العالمية فى العصور الوسطى . فقد جهز أبو بكر الصديق فى أواخر عام 12هـ/633م عدة جيوش لغزو بلاد الشام ، وأسند قيادتها إلى كل من : يزيد بن أبى سفيان وكانت وجهته دمشق ، وشرحبيل بن حسنة ووجهته الأردن ، وعمرو بن العاص ووجهته فلسطين ، وأبو عبيدة بن الجراح ووجهته حمص ([11]) .

ويبدو أن ثيوفانيس لم يكن على دراية بأمر هذه الجيوش واختلط الأمر عليه ، ويتضح ذلك مما ذكره ضمن أحداث عام 633/632م ، بقوله :" أن أبا بكر توفى بعد أن ظل أميرا للمؤمنين نحو عامين ونصف العام ، وخلفه عمر بن الخطاب ،

[9] - Theophanes, The Chronicle,p.430.

[10] - وسام عبد العزيز فرج : دراسات فى تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية ، الجزء الأول ، (324-1025م) (الإسكندرية ، 1982) ، ص 155-156؛ ليلى عبد الجواد : هرقل ، ص 271-272.

[11] - البلاذرى : فتوح البلدان ، حققه ، رضوان محمد رضوان ، (بيروت، 1403هـ) ج1 ص 16؛ ليلى عبد الجواد : هرقل ، ص 359 .

الذى أرسل حملة عسكرية استولت على بصرى Bostra وغيرها من المدن الأخرى" ([12]) . ذلك أن فتح بصرى تم في 13هـ/634م إبان عهد الخليفة أبو بكر الصديق ، وليس في عهد عمر بن الخطاب ([13]) .وهنا تجدر الإشارة إلى أن الباحث إذا ما حاول أن يتتبع أنباء هذه الجيوش فى المصادر الإسلامية ، فإنه سوف يجد نفسه أمام العديد من الروايات ، ولعل ذلك يرجع إلى كثرة عدد الجيوش التى أرسلها أبو بكر وتعدد قيادتها والخلط بين الجيش والإمداد فضلا عن إهمال الروايات للتحديد الزمنى للحوادث ، مما أدى إلى نوع من التداخل والخلط أحيانا ([14]) .

وهكذا واصل المسلمون زحفهم حتى أجنادين Gabitha ، واشتبك معهم ثيودور Theodore، أخو الإمبراطور هرقل ، لكنه منى بالهزيمة وجاء إلى الإمبراطور هرقل في مدينة الرها Edessa ([15]). فقام الإمبراطور بتعيين قائد عسكري آخر يدعى

---

[12] - Theophanes, The Chronicle,p.468.

[13] - البلاذري :البلدان ، ج 1ص 120؛الطبرى : تاريخ الطبرى ،الجزء الثانى ، الطبعة الأولى (بيروت ، 1417هـ) ج 2 ص343،339؛ ابن عساكر : دمشق ، ج 2ص90؛ ابن الأثير :الكامل فى التاريخ ،حققه ،عبد الله القاضى ، الطبعة الأولى (بيروت ، 1415هـ) ج 2، ص 258؛بتلر : فتح العرب لمصر ، عربه محمد فريد أبو حديد ، الجزء الأول ، (القاهرة ، 1989م) ، ص 143؛ليلى عبد الجواد : هرقل ، ص 364، انظر أيضا :
Theophanes, The Chronicle,p.469,note.no.2.

[14] - ليلى عبد الجواد : هرقل ، ص 360.

[15] - Theophanes, The Chronicle,p.468.
يذكر البطريرك نقفور أن الإمبراطور هرقل أمر ثيودور ألا يشتبك فى معركة مع المسلمين ' إلا أن قائده العام التابع له لم يتصرف وفقا لرغبة الإمبراطور ؛ لأنه كان يخطط للقيام بتمرد وحث رجاله على قتال العدو بطريقة مفاجأة ظنا منه أن تحقيق النصر سيكون فى صالح المتمردين ضد الإمبراطور ، ولهذا اشتبك مع المسلمين فى مكان يدعى أجنادين Gabitha . لكنهم بعد أن نصبوا الكمائن وناوشهم فى قلة من الرجال تفوقوا على الرومان ، وأحاطوا بهم وذبحوا أعداد منهم ،ويلاحظ هنا أن ثيوفانيس ساوى بين معركة أجنادين وهزيمة ثيودور ، انظر :
=Nikephoros Patriarch of Constantinople , Short History,Text , Trans , and Com By Cyril

بآنسBaanes ، فى حين أرسل ثيودور السكلاريوس Sakellarios (لقب عسكرى) على رأس جيش آخر لمواجهة العرب . وعندما وصل إلى أميسا Emesa التقى بعدد كبير من المسلمين فقضى على معظمهم بما فيهم أميرهم ، وقاد من تبقى إلى دمشق ،حيث عسكر على ضفاف نهر باردانيسيوس Bardanesios ([16]) ، أما هرقل فقد أصابه اليأس ورحل عن سوريا، وأخذ الصليب المقدس واتجه إلى القسطنطينية . وأمر أن يحول كلا من بآنس وثيودور السكلاريوس مساره من دمشق إلى أميسا على رأس جيش قوامه نحو أربعين ألفا من الجنود ، وقد تعقبوا العرب من أميسا حتى دمشق ([17]). ويتضح هنا أيضا مدى الخلط لدى ثيوفانيس، لأن رحيل هرقل عن سوريا بهذا الشكل لم يكن فى عام 633م ، وإنما كان فى عام 636م عقب هزيمة البيزنطيين أمام المسلمين فى معركة اليرموك الشهيرة ، حيث قال هرقل قولته المأثورة " سوزو سورية" أى ، وداعا يا سورية ([18]) .

على أى حال ، شن المسلمون حملة عسكرية فى عام 634/633م على منطقة دمشق . ولما علم بآنس بذلك ، أرسل على الفور إلى السكلاريوس الإمبراطوري

Mango ,(Washington,1990),pp.69-71,187,note.no 20.

[16] - Theophanes, The Chronicle,p.468.

يذكر ميخائيل السريانى أنه " نهر فرفر الذى يسميه المسلمون كرون " ، انظر ميخائيل السريانى : تاريخ ، ج 1 ص 314.

[17] - Theophanes, The Chronicle,p.468.

[18] - ميخائيل السريانى : تاريخ ،ج1 ص 319.

يطلب النجدة وبخاصة عندما علم بكثرة عدد العرب . فأجابه الأخير وانطلقا من أميسا واشتبكا مع العرب . وفى اليوم الأول من المعركة ، وكان يوافق الثلاثاء ، الثانى والعشرين من شهر يوليو ، منى جنود السكلاريوس بالهزيمة . عندئذ ثار جنود بآنس ونادوا ببآنس إمبراطورا ، فى الوقت الذى رفضوا فيه هرقل . عقب ذلك انسحب رجال السكلاريوس ، وعندها استغل المسلمون الفرصة ودخلوا المعركة . ولأنه تصادف حينئذ هبوب ريح جنوبية باتجاه الرومان ، لم يتمكن الرومان من مواجهة العدو بسبب الغبار ولحقت بهم الهزيمة.... واستولى المسلمون عقب هذا الانتصار الساحق على دمشق "(19).

يلاحظ أن ثيوفانيس يقصد هنا الحديث عن موقعة اليرموك ، لكن معلوماته مقتضبة ، ولم يكن محايدا حينما حاول أن يجد مبررا لهزيمة البيزنطيين ، بقوله : "إنهم لم يتمكنوا من مواجهة العدو بسبب الغبار ولحقت بهم الهزيمة " . كما لم يذكر الانتصارات التي حققها المسلمون على البيزنطيين وكللت فى النهاية بفتح مدينة دمشق ، وهى أمور أسهبت المصادر الإسلامية فى الحديث عنها .

19 - Theophanes, The Chronicle,PP.469-470.

ذلك أن اللقاء الأول بين الجانبين فى بلاد الشام حدث عام 13هـ/634م فى منخفض وادى عربة . جنوب البحر الميت . وأسفر عن هزيمة البيزنطيين ، وتصادف أن كان الإمبراطور هرقل آنذاك في مدينة الرها فأخذ يتابع الأحداث عن كثب . ودعا أهل دمشق وحمص وأنطاكية إلى قتال المسلمين والدفاع عن بلادهم ، كما جيش الجيوش وأرسلها بقيادة أخيه ثيودور إلى جنوب فلسطين لمواجهة المسلمين لكن حاقت الهزيمة بالبيزنطيين عند أجنادين عام 13هـ/634م ، وعند منطقة فحل . جنوب شرقي بحيرة طبرية . في ذي القعدة عام 13هـ/635م . وتابع المسلمون سيرهم نحو دمشق وسجلوا نصرا ثالثا على البيزنطيين في مرج الصفر جنوب دمشق ، مما مهد الطريق إلى دمشق ، فقصدتها الجيوش الإسلامية وحاصرتها بشدة من كل جانب . واضطر أهل دمشق تحت وطأة الحصار وعدم وصول الإمدادات البيزنطية ، إلى مصالحة المسلمين وتسليمهم المدينة في عام 14هـ/635م ، ثم جاء انتصار المسلمين فى معركة اليرموك ليحسم مصير بلاد الشام لصالحهم ([20]) .

[20] - الواقدى : فتوح الشام ، الجزء الأول ،(بيروت ، د ـ ت) ، ص 9 ، 33 ؛ البلاذرى : البلدان ، ج 1 ، ص 119 ، 128؛الطبرى : تاريخ ، ج2 ، ص 356،347 ؛ ليلى عبد الجواد : هرقل ، ص 360-380.
اختلفت الروايات حول مدة حصار المسلمين لدمشق ، ذكر الطبرى أن المسلمون حاصروها سبعين ليلة حصارا شديدا ؛ أما ابن عساكر فيقول أن الحصار دام ستة أشهر إلا يوما ، انظر :
الطبرى : تاريخ ، ج2 ، ص 357؛ ابن عساكر : دمشق ، ج 2 ص 100 .
ولمعرفة الخلافات حول تاريخ فتح دمشق ، انظر :
البلاذرى : البلدان ، ج1 ص130 ؛ الطبرى : تاريخ ، ج2 ص 359،356 ؛ ابن عساكر : دمشق ، ج2، ص 109-110.

أشار ثيوفانيس بعد ذلك ضمن أحداث عام 659/658م إلى موقعة صفين وقتل على بن أبى طالب وتولى معاوية بن أبى سفيان الخلافة واتخاذه من دمشق حاضرة له ([21]). وهنا تتضح عدم دقة تواريخ ثيوفانيس ؛ ذلك أن معاوية بن أبى سفيان بويع بالخلافة فى شوال سنة 41هـ/661م ببيت المقدس ([22]) . وعلى إثر ذلك ، صارت دمشق حاضرة للدولة الإسلامية بعدما كانت دار إمارة الشام وحدها ، وظلت محتفظة بمكانتها كحاضرة للمسلمين طوال عهد الأمويين ([23]) . وهكذا لم يعد يذكرها ثيوفانيس ، إلا عند حديثه عن العلاقات الدبلوماسية والسياسية بين البيزنطيين والأمويين .

ففي سنة 47.46هـ/668.667م عاشت بيزنطة فترة اضطرابات وقلق إثر مقتل الإمبراطور قنسطانز الثانى Constance II (668.641م) في جزيرة صقلية . وقد انتهز الفارسي سابور Sapor . قائد ثغر الأرمنياق Armeniacos . هذه الفرصة وتمرد وأعلن نفسه إمبراطورا وأرسل إلى الخليفة معاوية بن أبى سفيان فى دمشق يطلب النجدة واعدا ، إياه بجزء من آسيا الصغرى ، إذا هو تحالف معه ضد

[21] - Theophanes, The Chronicle,p.485.

[22] -الطبرى : تاريخ ، ج 3، ص 166؛ ابن الأثير : الكامل ، ج 3، ص 267.

[23] - محمد جمال الدين سرور : الدولة العربية الإسلامية ، منذ العام الأول للهجرة وحتى نهاية العصر العباسى الأول (1-232هـ) (622-846م) (القاهرة ، 2001م) ، ص 226.

الإمبراطور البيزنطي . وعندما سمع بذلك الإمبراطور قسطنطين الرابع Constantine IV (668 ـ 695م)، أرسل هو الآخر رسولا من قبله يدعى أندرو Andrew إلى معاوية بن أبى سفيان . وقابل معاوية الرسولين كل على حدة، كى يفاضل بين المكاسب التي يمكن أن يجنيها من وراء كل منهما ([24]).

انفرد ثيوفانيس بذكر تفاصيل اللقاء الذى أجراه معاوية بن أبى سفيان مع كل من سرجيوس مبعوث الفارسي سابور وأندرو مبعوث الإمبراطور قسطنطين الرابع ومن بين ما جاء فيه قول معاوية : " كلكم أعداء لنا على حد سواء ، وسوف أقف إلى جوار من يدفع أكثر ، فأجابه أندرو : يجب ألا يشك الخليفة فى أن ما سيحصل عليه من الإمبراطور سيكون أعظم بكثير مما سيحصل عليه من هذا العاص " ([25]). ولا يستبعد أن يكون ثيوفانيس قد ذكر مثل هذه العبارات وغيرها ، بهدف تشويه صورة المسلمين وكأنهم مرتزقة يعملون لحساب من يدفع أكثر . وهى نبره ما يزال حتى بعض المحدثين من مؤرخى الغرب الأوربي يروجون لها ، فقد برر بعضهم خروج العرب المسلمين من شبه الجزيرة العربية وقيامهم بفتوحاتهم الواسعة ، نتيجة لأسباب

[24] - Theophanes, The Chronicle, pp.488-489;Cedrenus.,Compendium Historiarum,**CSHB**, Vol.I (Bonn, 1838),p763;Brooks,"The Successor's of Heraclius to 717" **CMH**(Cambridge, 1936),p.396.
انظر أيضا : هانئ البشير : الدولة البيزنطية (641-711م) (القاهرة ، 2002م) ، ص 83 .

[25] - Theophanes, The Chronicle, pp.488-489.

اقتصادية بحتة منذ انهيار سد مأرب العظيم ، متجاهلين تماما الدافع الديني لنشر الإسلام ([26]) .

وفى النهاية قرر معاوية بن أبى سفيان . وفقا لثيوفانيس . تأييد سابور بحملة أرسلها تحت قيادة فضالة بن عبيد الله الأنصارى ، ولما أغارت على آسيا الصغرى ، أرسل الإمبراطور قسطنطين الرابع هو الآخر جيشا قويا تحت قيادة نقفور لمقاتلة سابور . إلا أن سابور سرعان ما وافته المنية فى أدرنة Adrianople ، التي كان يستعد فيها لملاقاة نقفور . ولما علم فضالة بذلك وكان قد وصل Hexapolis ، أرسل يطلب المساعدة من الخليفة ، فأرسل له جيشا بقيادة ابنه يزيد ، وتقدما معا حتى خلقدونية Chalcedon . وهى ضاحية من ضواحي القسطنطينية على الشاطئ الآسيوي . ومعهم الكثير من الأسرى ، كما استولوا على عمورية فى فريجيا Phrygia ، ثم عادوا على بلاد الشام بعد أن تركوا في عمورية حامية مكونة من خمسة آلاف رجل . لكن الجيش البيزنطي نجح بعد ذلك في دخولها والقضاء على الحامية التي تركها المسلمون هناك ([27]) .

[26] - عمر كمال توفيق : تاريخ الدولة البيزنطية ، تقدم د/ محمود سعيد عمران ، (الإسكندرية ، 2003م) ، ص 105 ؛ سعيد عاشور : أوربا ، ص 100 .

[27] - Theophanes, The Chronicle,pp.489-490.

لم ترد بالمصادر الإسلامية . التي توفرت للباحث . مثل هذه التفاصيل ، وكل ما ورد بها هو غزو فضالة بن عبيد أرض الروم ، دون تحديد لأماكن معينة أو الاتفاق على تاريخ واحد ([28]) ، مما يجعلنا نأخذ رواية ثيوفانيس بشيء من الحذر .

أخيرا وردت دمشق لدى ثيوفانيس عند تأريخه لأحداث عام 780/779م ، حيث ذكر :"أن الخليفة المهدى (العباسى)أرسل موخاسياس Mouchesias الملقب بالمتعصب([29])وخوله تحويل العبيد النصارى عن ديانتهم وهدم كل الكنائس المقدسة . وعندما وصل هذا الرجل على أميسا أعلن انه لن يجبر أحدا على الإسلام إلا الخونة فقط ، مما حدا باليهود والنصارى أن يعلنوا عن أنفسهم . وعندئذ قام بتعذيبهم على الفور وبمنتهى القسوة ..... كما وصل هذا الرجل إلى دمشق وهدم العديد من الكنائس دون مراعاة للعهد الذى تلقاه النصارى من العرب" ([30]).

لم ترد هذه الرواية . فى ضوء المصادر التى اطلع عليها الباحث . إلا فى حولية التاريخ الزمنى ، ولذا يجب النظر إليها بحذر ؛ ذلك أن ثيوفانيس دأب فيها على

[28] - الطبرى : تاريخ ، ج3 ، ص 207؛ ابن عساكر : دمشق ، ج 48 ص 300 ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج3 ، ص 314 ، 317 .

[29] - طبقا لما ذكره البعض ، هو حسن بن قتابة ، أما نعته موخاسياس فهو مشتق من اللفظ السوري ميثتازيجان MethtaŠigān ويعنى المغتسل أو النظيف ، انظر :
Theophanes, The Chronicle,pp.624-625,note.no.1.

[30] - Theophanes, The Chronicle,pp.624-625.

تشويه صورة المسلمين بأنهم يجبرون الناس وخاصة الخونة . وكأنه عقاب لهم . على الدخول فى الإسلام ، وهذا أمر غير صحيح . فالمعروف أن المسلمين كانوا يخيرون سكان البلاد التى فتحوها ، بين اعتناق الإسلام أو دفع الجزية أو القتال ، وتثبت كل الوثائق المعاصرة أن العرب لم يفرضوا دينهم على أهالى البلاد المفتوحة ، وإنما فرضوا سيطرتهم السياسية لا غير . فسيطرة العرب السياسية هى التى انتشرت بقوة السلاح ، أما الديانة الإسلامية نفسها فقد قال تعالى " لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغي " سورة البقرة، 256) ولذا وجدت سبيلها إلى قلوب نسبة كبيرة من أهالي البلاد المفتوحة . وقد أجمعت الوثائق على تسامح العرب المطلق مع المسيحيين واليهود سواء ، وهو تسامح لم يحظوا به في ظل حكامهم السابقين ([31]) .

وهكذا اتسمت رواية ثيوفانيس بالتعصب في كثير من الأحيان ، حيث كان متأثرا بتحيز الرهبان القاطع ، وهو أمر يأسف له لاسيما وأن وجهة النظر البيزنطية شكلها في الغالب مجموعة من هؤلاء الرهبان ورجال الدين ، الذين كان الطابع الديني والتعصب الشديد هما السمة الغالبة عليهم إبان سردهم للأحداث . لكن رغم ذلك ، فإن حولية التاريخ الزمنى غاية في الأهمية ، ويحسب لصاحبها انفراده ببعض

[31] - زيغريد هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب ، نقله عن الألمانية فاروق بيضون و كمال الدسوقى ، راجعه ووضع حواشيه مارون عيسى الخورى الطبعة التاسعة (بيروت ، 2000م) ، ص 364،؛ سعيد عاشور : أوربا ، ص105.

المعلومات التي لم ترد لدى غيره من المؤرخين ،حيث انه اعتمد في كتابة حوليته على مجموعة من المصادر التاريخية التي فقدت ولم تصلنا . وما تزال حوليته المصدر من أكثر المصادر ثقة عن القرون السابقة لعصره ، كما أنها أحد أهم مصدرين للمعلومات التاريخية الخاصة بالقرنين السابع والثامن للميلاد ، وقد اعتمد عليها كثير من المؤرخين البيزنطيين الذين جاءوا بعده مثل البطريرك نقفور ، وقسطنطين السابع وغيرهما.

قائمة المصادر والمراجع والمختصرات

أولا : المصادر والمراجع الأجنبية .

Brooks, "The Successor's of Heraclius to 717" **CMH**(Cambridge, 1936), pp.391-417.

BF Byzantinische Forschungen .

Cedrenus, Compendium Historiarum ,**CSHB**, Vol.I (Bonn, 1838).

CMH: Cambridge Medieval History (Cambridge) .

CSHB: Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae (Bonn ,1838) .

Conrad.L "Theophanes and the Arabic Historical tradition : some indications of

Theophanes Intercultural transmission",**BF**, Vol .15 (Amsterdam, I990),pp.1- 44 .

Encyclopédie Encyclopédie de L'Islam,Étable avec le concours des principaux orientalistes Par B.Lewis,Ch.Pellat et J.Schacht T.II,(Paris,1965).

Nikephoros Nikephoros Patriarch of Constantinople,Short History, Text,Trans,and Com By Cyril Mango ,(Washington,1990).

Sébeôs, Sébeôs., Histoire d'Heraclius, traduite de l'Armenien et annotée par Frédéric Marcler (paris, 1904).

Theophanes, The Chronicle of Theophanes Confessor, Byzantine and Near Eastern

The Chronicle History A284-813, trans with Introduction and Commentary by Mango,C and Scott,R ,With the assistance of Greatrex.G, (Oxford, 1997) .

The Oxford Dictionary of Byzantium , ed by Kazhdan. A,and Others , 3 (New York –Oxford, 1991) .

ثانيا: المصادر والمراجع العربية والمعربة :

ابن الأثير: **الكامل** :(ت، 630هـ/1322م) أبو الحسن على بن أبى الكرم محمد: الكامل فى التاريخ، حققه، عبد الله القاضى ، الطبعة الأولى (بيروت ، 1415هـ).

ابن عساكر **دمشق** : (ت 571هـ/1175م) أبو القاسم على بن الحسن: تاريخ مدينة دمشق مجلدان0 تحقيق ، محب الدين أبى سعيد عمر بن غرامة العمرى ، الجزء الأول ، (بيروت ، 1995م) 0

البستانى : كتاب دائرة المعارف ، ج8 ، (بيروت ، د . ت) .

البلاذرى : **البلدان** فتوح البلدان ، حققه، رضوان محمد رضوان،(بيروت،1403هـ).

السيد الباز العرينى : الدولة البيزنطية ، (القاهرة ، 1960م) .

الطبرى : **تاريخ** (ت، 310هـ/922م) أبو جعفر محمد بن جرير :تاريخ الطبرى ، الطبعة الأولى (بيروت ، 1417هـ) .

الواقدى: (ت، 207هـ/822م) أبوعبدالله محمد بن عمر : فتوح الشام،ج 1 (بيروت،د . ت).

بتلر .أ .ج فتح العرب لمصر ، عربه محمد فريد أبو حديد ، الجزء الأول ، (القاهرة ، 1989م)

جيرار ديجورج **دمشق** : دمشق من عصور ما قبل التاريخ إلى الدولة المملوكية ، ترجمة محمد رفعت عواد،مراجعة وتقديم : محمود ماهر طه (المجلس الأعلى للثقافة . القاهرة ، 2005م) .

زيغريد هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب ، نقله عن الألمانية فاروق بيضون و كمال الدسوقى ، راجعه ووضع حواشيه مارون عيسى الخورى الطبعة التاسعة(بيروت ، 2000م)0

سعيد عاشور **أوربا** : تاريخ أوربا فى العصور الوسطى،الجزء الأول(بيروت ، د . ت) 0

عمر كمال توفيق : تاريخ الدولة البيزنطية،تقدم د/ محمود سعيد عمران،(الإسكندرية ، 2003م) .

ليلى عبد الجواد إسماعيل: الدولة البيزنطية في عصر الإمبراطور هرقل وعلاقاتها بالمسلمين، **هرقل** (القاهرة ، 1985م) 0

محمد جمال الدين سرور : الدولة العربية الإسلامية،منذ العام الأول للهجرة وحتى نهاية العصر العباسى الأول (١ــ232هـ) (٦٢٢ــ846م) (القاهرة ، 2001م) .

ميخائيل السريانى : تاريخ مار ميخايل السريانى الكبير ، عربه عن السريانية، مار **تاريخ** غريغريوس صليبا شمعون ، أعده وقدم له : ما غريغوريوس يوحنا إبراهيم (دمشق ، 1996م) .

هانئ البشير **بلغاريا** : بيزنطة وبلغاريا ، 1018.681م (القاهرة ، 2001م) .

هانى البشير : الدولة البيزنطية ، 641–711م (القاهرة 2002م) 0

وسام عبد العزيز فرج : دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية (324–1025م)ج1،(الإسكندرية ، 1982) 0